صاحبة السيادة .. «الكلمة» !

بقلم الدكتور جورج حنا

الكاتب الذي يهاب التحدي

الكاتب الذي يحبس قلمه عما يعتبر تمردا ، فيقول ما يكتب بقالب اعتدالي .

الكاتب الذي يتهيب السلطان ، فيمجده لمجرد انه سلطان .. ولو طغى ...

الكاتب الذي لا يماشي العصر الثوري ، كما هو العصر الراهن .

الكاتب الذي يترفع عن النزول الى صميم الحياة ، ولا يكتب ما يوحيه واقع الحياة .

هذا الكاتب ، ليس لما يكتب أي قيمة ايجابية ، مهما كان فيما يكتب من بلاغة الكلمة وسحر البيان .

غبي هو الذي قال : « السيف أصدق أنباء من الكتب » . فان القلم بيد الكاتب أحد من السيف ، اذا شحذ على مسن الحق .

ليت الكاتب ـ كل كاتب ـ يعرف ما بوسعه ان يعمل ، فيعمل .. فيتبوأ عرشا هو أحق به من أي انسان : عرش الحكم بقوة الكلمة ، التي هو يمتلكها .

* * *

ان الكاتب اذا قام بالدور الذي يستطيعه ، يهز العروش ، ويدكها دكا .

من هز عرش البوربونيين ، غير « فولتير » ولفيفه من الكتاب الفرنسيين ؟

من هز عرش القياصرة غير « تولستوي » ولفيفه من الكتاب الروس ؟

من ألهب الشعلة المقدسة في نفوس الجياع ، والمظلومين ، والمستعبدين .. فثاروا على ظلامهم ومجوعيهم وتحرروا من مستعبديهم ؟

من نفخ روح الحرية في النفوس ، غير كتاب أحرار ، لقنوا الحرية لمن لم يكن يعرفها ، حتى لمن لم يكن يريدها ؟

* * *

عندما عقد كتاب اسيا وافريقيا مؤتمرهم الاخير في بيروت .. انطلقت ألسن السوء بالنقد والطعن ، ضد من يحق لهم هم أن يطعنوا أصحاب هذه الالسن .. هؤلاء الذين ما انتقدوا ، ولا طعنوا ، ولا سبوا ، الا لخوفهم من الكلمة .. كلمة الحق والحرية ، كما لو كانوا هم ، ولا غيرهم ، حماة الحق والحرية .. يحمونهما ـ كما تعودوا حمايتهما ـ بالسيف في أيديهم ، والفتيلة في فوهة مدافعهم .. وبقوانين يشرعونها هم ، لضمان حقهم وحريتهم هم .. حقهم بأن يظلموا ويستعبدوا .. وحريتهم بأن يستثمروا أموال العباد وأرواحهم .

* * *

كان مؤتمر كتاب اسيا وافريقيا في بيروت ، منطلقا لسيادة الكلمة .. كلمة الحق والحرية .. كما لو كان منطلقا لعهد يسود فيه النور على الظلام ، في أقطار عاشت أجيالا وقرونا في الظلام ، بفضل أصحاب القوة الطاغية ، مستعمرين ومستثمرين ... ربهم الذي يعبدون وله يصلون ، هو المال ، ولا شيء غير المال ، رغم تعدد أسمائه .. بجبروته يحكمون ويتحكمون ، ويتسلطون ..

* * *

المقول ان عالم اليوم عالمان : عالم رأسمالي وعالم اشتراكي : عالم غرب وعالم شرق : عالم ماركسي وعالم ضد الماركسية .

هذا صحيح من حيث النظرية .. أما من حيث الواقع ، فعالم اليوم انسانان .. انسان مستعبد وانسان مستعبد .. انسان منعّم وانسان محروم .. انسان متخم وانسان جائع .

فالحرب اذن ، ليست بين العالمين المختلفي النظام .. وانما الحرب بين الانسانين ، المتعايشين معا ، وفي قلب كل منهما حقد على الاخر .. حقد الانسان المنعم حقد اجرامي ، بينما حقد الانسان المحروم ، حقد مقدس .

فالكاتب اما أن يكون مع الانسان الاول ، أو مع الانسان الثاني . وما أظن ان كاتبا يعرف قيمة الكلمة ويحترمها ، الا ويأخذ فيما يكتب جانب الانسان الثاني ، أي الانسان المحروم والمظلوم والجائع .

* * *

ان الدول توالي عقد المؤتمرات فيما بينها .. تارة

باسم السلام العالمي .. وتارة باسم الحفاظ على حقوق الانسان .. وتارة باسم التوازن الدولي في هذه المنطقة أو تلك .

وما من مؤتمر من هذه المؤتمرات ، خرج بما كان يقال انه عقد من أجله .

فكل دولة تأتي الى هـــذه المؤتمرات ، حاملة مطامعها .. تنادي بالحق ، ولا ترى الحق الا اذا كان لها .. وتنادي بالحرية ، ولا ترى الحرية الا بمنظار غايتها هي .. وتنادي بالسلام ، ولا تريده الا كما هي تريـــده ..

***

من هنا تحدوني حاسة الفضـــول الى أن أتقدم باقتراح ، من على منبر هـــذه المجلة الادبية الراقيـــة والمحترمة .. الاقتراح هو ، ان يلتقي كتاب العالم ــ كل العالم ــ من اسيا وافريقيا الى اوروبا واميركا .. مـــن الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفياتي ، ومن بلاد العرب الى بلاد التتر ــ فـــي مؤتمرات دوريـــة ، لا يحضرها سياسيون ، الا من يأتيها مستمعا .. وتدور أبحاثها حول قضية الانسان .. الانسان بوصفه انسانا ، لا بوصفه أميركيا ولا سوفياتيا ولا اسيويا ولا افريقيا ، ولا عربيا .. واجباته على الدول والحكومات ، وواجباته هو تجاه أخيه الانسان .. وقوفه بوجه مطامع أصحاب المطامع ، دولا ، وحكومات ، وجماعات تتاجر بأرواح العباد .. اصـــدار حكم مبرم على كـــل مجرم حرب .. الوقوف كتفا الـــى كتف ، ضد كل من يحـــاول تسخير الانسان لاغراض وغايات لاانسانية ، حتى ولو كان المحاول من نفس بلده ، ومن لحمه ودمه .. الدفاع عن انسانية الانسان وسلامتها هي أغلى رأسمال الوجود البشري ..

ان خبرتي ككاتب ، حضر مؤتمرات عدة ، لكتـــاب من مختلف أقطـــار العالم ، تخولني أن أقـــول ويدي على قلبي .. ان المؤتمرات التي تعقدهـــا الدول فيما بينها ، ومطامع كل دولة منها ، تفرق أكثر مما تجمع .. بينمـــا مؤتمرات الكتّاب تجمع أكثر مما تفرق ، بل هي وحدها التي تجمع .. ان الكلمة فـــي فم كاتب يحترم الكلمة ، ويعمل بقوة الكلمة ، هي ما يحتاجه عالمنا اليوم .. عالم التنافذ ، والتنافس ، المشحون بمطامع الاقوياء ، والرابض وحشا لافتراس الضعفاء .

***

هذا الاقتراح ، من أجدر منك يا صديقي صـــاحب « الاداب » ، أن تكون أنت في مجلتك المحترمة ، الداعـــي اليه .. فتتوج مجلتك العزيزة بتاج ، أين منه التيجـــان على رؤوس من يعتمرونها ؟

جورج حنا

الطوفان

لوجهك نحرق البخور ! كل رموزنا تلتم في جمرة !
لوجهك تنحني الاشياء !
فدعنا نشتهي في ظلك الطيني .. دعنا ننتقي الاسماء
وحول النار مد شيوخنا جدلا ..
متى يتشاءبون ؟ متى بدأت خروجك الاول ؟؟
وكانت أضلع الموتى ..
تدوّم في قرار الطين
تطوقها الجذور ويكبر الحنظل
وملء سكون وجهك لم نعد نجهل ..
عواصفك التي تأتي بلا ميعاد
وأن الفرصة البيضاء عبر دمارها مرة !

***

وثمة قشة نصبت على مجراك في حلم من الاحلام
وتهرب من أصابعنا .
كأنك في يقين اللمس شلال من الاوهام !!

***

وفي السحر العتيق تأهب الجنس العنيد ليدخل الميلاد
وقاد الخيل أجيال من الرواد
تنقش في غموض الصخر كلمات عن الخبر
وتحت الشمس في جبروتك المبهم
تقوم قلاعنا ، حجر على حجر

***

من السحر العتيق وتحت صفحتك المهيجة كانت الارحام
تعيد زنودنا في قوة اخرى
لترفع قلعة البشرية الخضراء
ومجد ارادة العظماء :
أولاء الهازجين مع المناجل والذين يعنكبون
الخيط والتجار ...
أصابعهم تدور على الرفوف او راكبين البحر ، والتيار .
أعد لهم نبوءته عن الآفاق والاسرار !!
رقصنا في هياجك وارتقينا شرفة الاعوام
فان تغمر رماد قلوبنا يوما ..
فثمة في طريق الصمت والصحراء
على النصب الكبيرة شمس ما نفعل ..
تمد صفاءها في دورة الساعات حتى تنهض البذرة

***

كذلك في دمارك وجهنا يزهو ...
وان نحن الرؤوس فانما لنعز أشرعة ..
لنا في عاصف الانواء

سورية

احمد يوسف داود